

من صفات الرذيلة ووسائلها وحبائلها فيصبح الطاغية مطمئناً إلى قوات متعددة، أولها بطانته الخاصة بأساليبها - وثانيها: طلاب العيش يؤمرون فيأتمرون، وقد يكون من هؤلاء رجال لهم شيء من الضمير، لكنهم وقد غلبت عليهم المصلحة الخاصة أو الحاجة، وضعوا على ضمائرهم غشاوة يتناسون بها الفضيلة وحجتهم أمام أنفسهم أو أمام الناس أن لهم سلطاناً سواء كانوا وزراء أو حكاماً، ويكفى في نظرهم هذا السلطان لأن يخفى ما يقتربون من آثام - وثالث القوى: العمل على إبعاد الأمة عن المثل العليا بالوسيلتين القويتين، وهما الجهل والتفرقة وإنشاء الشيع والاحزاب.

ولا يمكن لامة من الامم ترح تحت أثقال هذه العوامل الثلاثة الا أن تكون نهبا لكل طامع، وعرضة لأن يلتهمها مغتصب أو مستعمر يرى الأُمور ممهدة أمامه بضعف شعب كان ضحية لطاغية، فلا يقوم في إدارة هذا الشعب الا بنفس الوسائل التي ابتدعها ذلك الطاغية، وهو الذي خلق في نفوس أمتة أن النفاق فضيلة، والخضوع مثوبة، والسرقه حذق، والفحش تحرر من التقاليد البالية، والخمر والميسر متاع وترفيه وبراعة.

وياويل أمة استعان الطاغية في حكمها بالقوة المسلحة حتى إذا بدرت منها بوارد السخط استعان في قهرها واذلالها بقوته المسلحة، فيخضعها طوعاً أو كرهاً لجبروته وإذا آانس من شعبه أو من قوته المسلحة نزوعاً إلى الحرية والعدل والكرامة، فكر في إيجاد حرس خاص له علّاه يحفظه ويحميه من هذا الشذوذ أو نكران الجميل فإذا تفشى العلم والمعرفة في عقول الشعب ونمت بوارد الوعي والتمسك بالحرية ولو بسفك الدماء، وحصل التجاوب بين الشعب وقوته المسلحة، وقتئذ تدق ساعة الخلاص، ويهبط ذلك الطغيان من عليائه، وتصبح الأمة وجيشها قوة واحدة مقدسة تقصى عنها الطغيان وأذنا به، وتبعده عن أرضها فيخرج ذميماً مدحوراً خائفاً وجلاً تخط أنفاسه أمام عينيه في الجو.

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته *** كذلك من لا يسوس الملك يخلعه